ممارسة الشعائر الدينية والاعتقادية بالقرى:
مجال للصراع بين الأجيال–إقليم شيشاوة نموذجا
دراسة تحليلية سوسيولوجية

الباحث العربي عكروش
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
دامعة القاضي عياض، مراكش
المغرب

مقدمة:

يعيش إقليم شيشاوة تحولات ديمغرافية واجتماعية واقتصادية وثقافية، لا يمكن فصلها عن الظروف العامة التي يعيش المجتمع القروي داخل نسق اجتماعي مرتبط بالاتجاهات العامة للثقافة الدينية الكلية السائدة في المجتمع المغربي ككل، و التي عرفت بدورها العديد من التحولات الكمية والكيفية على كافة المستويات، والتي تؤشر على سيرورة وطبيعة التغير الاجتماعي المعاصر في المجتمع القروي، هذا الأخير الدي شهد خلخلة في بناه التقليدية ببروز مظاهر تحديثية أساسية، كان لها أثر كبير على مختلف مؤسساته التنظيمية، وبنياته الاجتماعية. ولتحليل أسباب ومظاهر تحول الثقافة الدينية الواحدة إلى مجال للصراع بين الأجيال، وعلاقتها بتبرير الحصار المفروض على الأفراد والجماعات في المجتمع القروي بإقليم شيشاوة، لابد من رصد علاقة تمثلات ونظرة القرويين الى مكانة ممارسة الشعائر الدينية في شكليها التقليدي والحديث، وعلاقتها بالتحولات التي عرفها المجتمع القروي نفسه، وذلك من خلال الانتقال من النموذج التقليدي "المجتمع المنغلق" الى النموذج الحديث "المجتمع المنفتح".

يقود السياق العام المؤطر لهذه الدراسة الميدانية إلى القول بكون ممارسة الشعائر الدينية أفرز عوالم متغيرة ومتناقضة بين الأجيال في المجتمع القروي بإقليم شيشاوة، ففي الوقت الذي كنا نعتقد استمرار النموذج المتوارث للتدين بالمجتمع القروي بإقليم شيشاوة، نتساءل عن مدى قدرة هذه الثقافة الدينية الشعبية على الصمود أمام التحولات الاجتماعية المعاصرة التي يشهدها المجتمع القروي بإقليم شيشاوة، والبحث في تحليل ورصد ما أحدثته هذه التحولات من أوضاع جديدة للتدين الفردي المعاصر، ومقارنتها بأوضاعها السابقة قبل تعرضها لهذه التحولات، الشيء الذي سيمكننا من بناء فهم علمي لكيفية انتقال الدين من مجال يستوعب الجميع إلى فضاء للصدام والصراع بين جيل الشيوخ وجيل الشباب.

هذه المفارقة الإشكالية التي يثيرها هذا التساؤل، هي التي تستوجب منا ضرورة اعادة قراءة الواقع الاجتماعي الجديد الذي رافق سيرورة هذا التغير الاجتماعي المعاصر بالوسط القروي بإقليم شيشاوة، ومراجعة الفهم السوسيولوجي القائم لهذا الواقع، وتوجيه الجهود نحو البحث في دور التحولات في تغيير السمات الاجتماعية والثقافية والاقصادية والديمغرافية لمؤسسة الاسرة القروية بإقليم شيشاوة، والكيفية التي تفاعلت هذه المؤسسة التنظيمية مع الآثار التي تخلفها هذه التحولات.

مشكلة الدراسة: من هنا، تنطلق عملية صياغة إشكالية هذا البحث من خلال قراءات استكشافية لدراسات نظرية وأخرى ميدانية متعددة، اهتمت بمساءلة قضايا تحول الثقافة الدينية في المجتمع القروي بصفة عامة، وعلاقتها بالاختلافات التي طرأت على ممارسة شعائرها بين الأجيال. لهذا فالمنطق الاشكالي لهذا البحث، يستهدف تفتيت ركام الطوق الأيديولوجي والثقافي والديني المضروب على الثقافة الدينية القروية بإقليم شيشاوة، والتساؤل عن مدى قدرة الأجيال على تجاوز الاختلاف المسجل في فهم المعتقدات الدينية وتطبيقها بين الشباب والشيوخ بإقليم شيشاوة، وحدود قدرة كل جيل على الصمود امام موجات التدين المتنوعة القادمة من خارج الوسط القروي، وهو التساؤل الذي يقودنا الى طرح الإشكالية التالية: "كيف تحولت الثقافة الدينية بالوسط القروي إلى مجال للصراع بين الأجيال؟"

إن هذا الطرح الإشكالي للبحث، يمكن من إضفاء مقاربات متعددة في اتجاه التحليل والمناقشة والمعالجة المخصصة له، دون أن ننسى الوقوف عند الأسئلة الفرعية التي تشكل منحى الإحاطة بكل الجوانب الممكنة لهذه القضية الاجتماعية، وأيضا في منحي رصد وتحديد معالم هذه الإشكالية من خلال تناول الاسئلة الفرعية التالية:

- كيف ساهمت التحولات الاجتماعية المعاصرة في تغيير مفهوم التدين بالوسط القروي بإقليم شيشاوة؟
- ألا يمكن اعتبار عملية اختلاف ممارسة الشعائر الدينية مسألة طبيعة بين الأجيال؟
- كيف يحكم المعتقد الشعبي قبضته على البنية الذهنية للإنسان القروي، وجعلها تنتج تصورات وتمثلات تتحول إلى مجال للصراع؟
- ما عناصر الثبات والتغير في بنية الثقافة الدينية بإقليم شيشاوة في ضوء المتغيرات الحضارية والاجتماعية المتلاحقة في المجتمع القروي؟
- فرضيات الدراسة: على ضوء معطيات الإشكالية التي تم ذكرها سابقا، ارتأى هذا البحث مناقشة وتحليل الفرضيات التي يثيرها دراسة اختلاف فهم الثقافة الدينية في بروز الصراع بين الأجيال بإقليم شيشاوة، وذلك بناء على المتغيرات المستقلة (الدين، الشباب، الشيوخ ـ الصراع):
- الفرضية الأولى: نفترض أن التحولات التي طرأت على مفهوم التدين القروي بإقليم شيشاوة جزء من التحولات الاجتماعية والثقافية والاجتماعية التي يشهدا المجتمع القروي.
- الفرضية الثانية: نفترض أن الصراع بين الأجيال بإقليم شيشاوة يعود إلى الاختلاف في فهم وظائف الثقافة الدينية وأنماطها وسماتها وعلاقاتها بالحياة اليوم للإفراد والجماعات.

عينة الدراسة: بدأت إجراءات الدراسة خلال الموسم الدراسي 2021-2022، واختيرت عينة البحث وفقا شروط أهمها العلاقة المباشرة بالموضوع.، حيث روعي في هذه العينة أن تشمل جميع مناطق شيشاوة. واحترام التقطيع الترابي، والتوزيع الجغرافي للجماعات القروية المعتمد في الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014. ومن أجل ضمان قدرة هذه العينة على تمثيل المجتمع الإحصائي المدروس البالغ 54866 أسرة، تم التأكيد على أهمية حجم

العينة، حيث بلغت 1646 أسرة، أي بنسبة تمثيلية تبلغ 3% من المجتمع الإحصائي. وتتوزع هذه العينة على الجماعات الترابية البالغ عددها 33 جماعة قروية.

اداة الدراسة: ان تنوع المتدخلين والفاعلين في مجال رصد اثر التحولات التي لحقت الأسرة القروية بإقليم شيشاوة في مختلف أنساقها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والديمغرافية، وما نتج هن هذه الانساق من ظواهر أثرت مباشرة على البناء الاسري وتركيبته بإقليم شيشاوة، وما ينتج عن هذا التنوع في تعدد اساليب وآليات وأدوات هذا الرصد، تفرض ضرورة تنويع تقنيات جمع المعطيات انسجاما مع الطبيعة الاستكشافية الميدانية للموضوع، وبغية الالمام الشامل بتفاصيله. وفي هذا الصدد سيتم اعتماد أربع تقنيات اساسية هي الاستمارة بهدف جمع أكبر عدد من المعطيات الميدانية حول الموضوع، وإجراء مقابلات مباشرة مع مستجوبين يمثلون مختلف الشرائح الاجتماعية بالوسط القروي بإقليم شيشاوة من شيوخ وشباب ونساء وفاعلين، والملاحظة المباشرة لمتابعة الظاهرة المدروسة في واقعها الحقيقي، والتي صنفت كوسيلة أساية لجمع المعلومات عن الثقافة الدينية بإقليم شيشاوة، وذلك بالانتقال الى القرى والدواوير، والاتصال المباشر بالساكنة القروية، وفتح حوار معهم بهدف جمع المعطيات المطلوبة. فضلا عن تعزيز هذا العمل بالبحث الوثائقي الموسع..

طبيعة ونوع الدراسة: في ظل افتقار الدراسات السابقة لشرط التحيين في المعطيات والمؤشرات، وذلك في حدود معرفتنا، تصنف الدراسة الحالية ضمن البحوث الاستكشافية التحليلية التي تتوخى الكشف والتوسع في تحليل جوانب الاشكالية واغناء التراكم المعرفي للظاهرة بمؤشرات جديدة محينة.

منهج الدراسة: اعتمدنا، لإلقاء الضوء على حيثيات الاشكالية الواردة في البحث، والاجابة على أسئلتها ، على منهج المنهج الكمي الذي يعتمد على المسح الاجتماعي الشامل بالعينة ، وذلك لأن مجال ومجتمع البحث جد واسعين ،فهذا المنهج يتيح جمع معطيات ميدانية كافية نسبيا للدراسة العلمية للموضوع، وبوفر كافة الاجراءات التي تساعد الباحث على اكتشاف الوقائع المختلفة للعمليات، والخطط المعدة لتحقيق تغييرات في المجتمع المستهدف، الشيء الذي يجعل هذه الدراسة المتعلقة بهذا البحث، تجرى وفق المنهج الاستكشافي الاستطلاعي الميداني : حول النماذج والتطورات التفسيرية التي يدلي بها المستجوبون حول الظواهر التي أفرزتها تحول الثقافة الدينية إلى مجال للصراع بين الأجيال بإقليم شيشاوة. ويمكن تبرير اختيارنا لهذا المنهج، دون سواه، بخصائص ومقاييس الموضوع التي تتناسب في دراستها مع المنهج الكمي، وإمكانية معالجة البيانات بعد تكميمها، وتفريغ المعطيات في جداول تحتوي أرقاما ومعطيات إحصائية، وتسهيل مهمة فهم هذه المعطيات، وتأويلها وتفسير العلاقات القائمة بينها، فضلا عن قدرة هذا المنهج في الجمع بين عمليتي التحليل والتفسير أثناء العمل على المعطيات الميدانية

حدود الدراسة: يتحدد إطار هذا البحث في ثلاثة حدود رئيسية، الحد الأول يتعلق بالتحديد المكاني، حيث تم اختيار اقليم شيشاوة كمكان لإجراء الدراسة لاعتبار اساسي، يتجسد في كونها اقليم صراع بين الإيمان بالمعتقدات الشعبية وظهور أشكال جديدة للتدين الفردي. والحد الثاني ينصب على التحديد الزمني، حيث أجريت الدراسة

خلال الفترة الربيعية من عام 2022 وذلك بالتوزيع المباشر لأدوات البحث، والحد الثالث اهتم التحديد الموضوعي، حيث تم تحديد الاطار الموضوعي للبحث باستطلاع اراء وتصورات الأسرة حول تحول الثقافة الدينية إلى مجال للصراع بين الشباب والشيوخ.

دواعي الدراسة: تجلت في اعتبارين أساسيين، أولهما اعتبار ذاتي، يتجسد بالخصوص في معرفتنا لهذا الموضوع الذي ارتبطنا به من حيث التكوين والنشاط المهني المتراكم، من هنا فان هذا العامل سيساعدنا إلى حد كبير في إجراء الدراسة في ظروف مناسبة. ينضاف إلى ذلك الرغبة والاهتمام الشخصي بمسالة استقرار الحياة الاجتماعية والنفسية للأفراد، وثانيهما اعتبار موضوعي، يتمثل في ضرورة معرفة الواقع الحقيقي لمعرفة كيفية الثقافة الدينية بالوسط القروي إلى مجال للصراع بين الأجيال, وتحقيق مقاربة ميدانية لكل تجلياته ، بحيث تعتبر هذه الدراسة ضرورة علمية وشرط أساسي لمواجهة التحديات المتنامية التي يفرضها الموضوع .

أهمية الدراسة: يعتبر البحث العلمي في ميدان الدراسات السوسيولوجية فرصة سانحة ، وبابا مفتوحا للغوص في خبايا الظاهرة المدروسة، ومعرفة خلفيات عملية الملاحظة اليومية لها، فهو وسيلة للاستعلام و الاستقصاء المنظم و الدقيق الذي يقوم به الباحث بفضل اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلا . لهذا تستند اهمية الدراسة الى عدد من الاعتبارات، فالواقع العلمي يبرز أن الأبحاث العلمية التي تباشر قضية تحول المجال الديني إلى موضوع للصراع بين الأجيال قليلة تعد على رؤوس الأصابع نظرا لما تمثله هذه القضية —كما سبق ان اشرنا — من حساسية وخصوصية ، فلا تخفى على احد أن اغلب الدراسات التي تتناول هذه القضية تأخذ طابعا نظريا و تقنيا محضا . وفي هذا السياق يمكن تصنيف هذه الدراسة ضمن الأبحاث التي تواجه هذه الاشكالية ميدانيا في الواقع الاجتماعي. كما تتسم هذه الدراسة بالجرأة في طرح، حيث تباشر الدراسة هذه القضية على الرغم من حساسيتها في إطار معالجة القضايا المجتمعية مهما كانت درجة حساسيتها وخصوصيتها. ونتوخى من هذه الدراسة، كما تم الإشارة إليه في مدخل هذا البحث، دراسة تحول الثقافة الدينية بالوسط القروي إلى مجال للصراع بين الأجيال

تفسير النتائج: ساهم التغير الاجتماعي بالعالم القروي بإقليم شيشاوة في تغيير أنماط ممارسة الشعائر الدينية والاعتقادية، فقد تحول فعل التدين لدى الساكنة القروية إلى طقوس تعكس بشكل مباشر العلاقة الجدلية التي تجمع بين طبيعة الإنسان ومختلف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية المحيطة به. فرغم الاعتقاد الراسخ في مخيلة الإنسان القروي بكون الدين اختصاص إلهي، يتعالى على ظروف الزمان والمكان، وغير خاضع لمنطق العقل والواقع، ومنزه عن تأثير الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة للمجتمع القروي، فإن طريقة ممارسة الطقوس الدينية، و أنماط التعبير عن التشبث بالمعتقدات التعبدية، لا يمكن فصلها بأي حال من الأحوال عن ما يعيشه المجتمع القروي بإقليم شيشاوة من تحولات اجتماعية واقتصادية وثقافية في كافة الأصعدة، والتي ستلعب دورا حاسما في تحويل سلوك التدين بالمجتمع القروي من التدين الجماعي إلى التدين الفردي، فهذا الأحير، كما يذهب الباحث

المغربي رشيد جرموني ، أصبح يمثل جوابا عن إشكاليات لم تجب عليها حركات الإسلام السياسي من قبل، أو أن إجابتها لم تكن وفق منظور إشكالي شمولي وناضج، مما أفسح المجال لظهور دينامية تجديدية لأشكال التدين، ومن بينها مظهر التدين الفردي بالوسط القروي بإقليم شيشاوة.

1) تفسير المصائب جزء من السياقات الاجتماعية التي توظف فيه النصوص الدينية بإقليم شيشاوة: تبني الأسر القروية بإقليم شيشاوة، ثقافة التعامل مع الشرور والمصائب على مجموعة من الممارسات الاعتقادية المترسخة في وجدان الإنسان القروي، والتي تبرز التعلق القوي بالموروث الديني، وفي نفس الوقت، تضفي طابع التعدد على السلوك الديني اليومي، وتؤشر على بطء وتيرة تأثير التحولات الاجتماعية على أنماط التدين بالمجتمع القروي، و التي يعتبر الدين الإسلامي الجوهر الأصلي لمعانيها ومقاصدها. فمن خلال المعطيات الواردة في الجدول أسفله، يتضح أن 30% من الأسر القروية تعتقد تام الاعتقاد، بأن التمائم قادرة على وقاية الأبناء من كل مصادر الشر والمصائب، في المقابل تتق 20% من هذه الأسر على أن المواظبة على زيارة الأضرحة المشهورة بالإقليم، كفيل بتحقيق هذه الغاية. وفي خضم التحولات العميقة التي يعيشها المجتمع القروي، بدأت العديد من الأسر القروية في التخلي عن الطرق التلقيدية، والإيمان بالخوارق والشعودة في تحقيق هذا الغرض، و تختار عوضها العودة إلى الطرق التي نص عليها الدين الإسلامي، والمتمثلة في قراءة القران بنسبة 25%، و الدعاء بنسبة 12%، والصدقة بنسبة 13%.

الجدول رقم 90: توزيع الأسر القروية بإقليم شيشاوة حسب أسباب المصائب والطرق المعتمدة في وقاية الأبناء من شرورها

	كيفية وقاية الأبناء من كل مصادر الشر					تفسير أسباب مصائب الأسرة				
	التمائم	التبرك بالأضرحة	الرقية بالقرآن	الدعاء	الصدقة	الحسد	السحر	القدر	لعنة التقاليد	ضعف الوقاية
العدد	460	362	412	198	214	214	658	412	164	198
%	28	22	23	12	13	13	40	25	10	12

المصدر: نتائج البحث الميداني لسنة 2021

وعموما فاختلاف الأسر في فهم و تفسير و وتجنب مصادر الشر، لا يمكن فصله عن السياقات الاجتماعية التي توظف فيه النصوص الدينية ، وهو ما يمتد ليشمل مسألة تفسير أسباب المصائب التي تصيب الأسرة، فالإيمان بالخوارق والمعتقدات السحرية لازال متجذرا في الأوساط القروية، حيث يمس نسبة 40% من الأسر، في مقابل

تزايد نسب الأسر التي تفسر المصائب كقدر محتوم، والتي تتجاوز25%، وما ينبغي التأكيد عليه هنا، هو أن التحولات الاجتماعية ساهمت في رفع الوعي الاجتماعي بخصوص مسؤولية الأبوين في بعض الكوارث التي تحل بالأسرة، حيث تمثل اليوم ما يقارب 12%، وهو تحول توعي في الثقافة الدينية بالمجتمع القروي إذا ما قورن بما كان سائدا في الماضي.

فتفسير المصائب التي تحل بالأسر القروية لا يمكن فصلها عن السياقات الاجتماعية التي توظف فيه المصادر الدينية بإقليم شيشاوة، والتي تبقى متمحورة على الإيمان الكلي، الاعتقاد الجازم بدور القضاء والقدر في حياة الأفراد والجماعات، وبكون الاشياء والأفعال الحتمية لا يمكن تفاديها أبدا.

2) هيمنة المرجعية الدينية الموروثة على تدين الأفراد بإقليم شيشاوة: تبين عملية قراءة المعطيات الواردة أسفله، عمق التحولات الاجتماعية التي عرفتها طبيعة العلاقة القائمة بين الأسرة القروية والثقافية الدينية، فالغالبية من القرويين لازالوا يعتمدون في مصادر الحصول على المعلومة الدينية على المرجعية الموروثة من السلف، وذلك بنسبة تتجاوز 44%، يليه من حيت الأهمية الأماكن المقدسة كالمسجد بنسبة 19% ووالزوايا والأضرحة بنسبة 25%، أما المعلومة التي يتم الحصول عليها من مصادر حديثة كالتلفاز والكتب فلا تتجاوز نسبتها 12%/.

شكل رقم 52: توزيع الأسر القروية بإقليم شيشاوة حسب المصادر المعتمدة في الحصول على المعلومة الدينية

المصدر: نتائج البحث الميداني لسنة 2021

إن أهم فكرة يمكن استنتاجه من المعطيات السابقة، هي هيمنة المرجعية الدينية الموروثة، والمستمدة من الأماكن المقدسة، فبين تدين الأفراد وهذه الأماكن علاقة وثيقة جدا، والدليل على ذلك الأنتشار الكبير للزوايا الصوفية بالوسط القروي بإقليم شيشاوة، بحيث لكل زاوية طريقتها في التصوف، وشيوخها وفروعها وتلامذته، ومن أشهر هذه الزوايات التي لا تزال محافظة على مكانتها، نجد زاوية بلاد الحمر، زاوية المليجة ابن الأحول، الزاوية السعدونية الهدلية، زاوية بالمقدم. زوايا أولاد أبي السبع وفروعها، زاوية نزلت، زاوية حنيك النحل، الزاوية النحلية، زاوية افنسا، زاوية لالة عزيزة، زاوية أكني، الزاوية العمرية، الزاوية الشرقاوية، زاوية كوزمت، وزاوية مزودة وغيرها. فالأسر القروية لا زالت تعتقد أشد الاعتقاد بكون هذه الزوايا المشهورة، أماكن مقدسة، شيوخها معروفون بالعلم والصلاح والتوجيه الديني والنصح للعوام، كما أنها موطن لعدد كبير من العلماء وفقهاء الدين والأولياء الصالحين.

ما قيل عن الزوايا، يقال كذلك عن الأضرحة، بحيث تتحدث الشواهد الواقعية عن وجود ضريح مقدس واحد على الأقل في كل دوار، والمقبرة الموجودة في هذا الدوار تحمل اسم الضريح المتواجد فيه. فمثلا في جماعة السعيدات، تواج بها أكبر مقبرة بالوسط القروي بإقليم شيشاوة، وتضم أكثر من 100 ضريح على شكل قبة كبيرة. ومن مظاهر تقديس القرويين لهذه الأضرحة، تخصيصها بوم معروف في السنة للاحتفال الديني بها، وإقامة ولائم

تعرف باسم "المعروف" كعربون على المكانة التي يحظى بها صاحب الضريح، وكموقف للتعبير عن الرغبة في استمرار عطفه وحمايته للساكنة.

على المستوى النظري، لازالت الأسرة القروية بإقليم شيشاوة، تعتبر الدين خط أحمر، لا يمكن المساس به بأي شكل من الأشكال، ولا يمكن القبول بأي نقاش حول توابثه مهما كان الهدف منها، فالدين يصنف ضمن خانة المقدسات التي لا تخضع للتغيير، بهذا المعنى، فالعلاقة بين الإنسان القروي والدين علاقة ذات أهمية كبرى وحساسية قصوى، تتجاوز نطاق كل أشكال العلاقات الأخرى.

3) غلبة البساطة على السلوك الديني بإقليم شيشاوة: يغلب طابع البساطة على السلوك الديني للقرويين بإقليم شيشاوة، فنسبة 50% من الأسر القروية، يصنف مستوى تدينها في خانة التدين العادي، في مقابل نسبة 30% يرتقي مستوى تدين أفرادها إلى المستوى المعتدل، أم التشدد في أداء الواجبات الدينية، فلا تكاد نسبته تتجاوز 10%. هذا الاختلاف في مستويات التدين، لا ينفي القول بأن نسبة 7°% من الأسر القروية، يلتزم أفرادها بأداء الواجبات الدينية بطريقة منتظمة ودائمة، عكس نسبة 28% من القرويين يفتقدون لهذا الانتظام. فما يميز السلك الديني بالوسط القروي بإقليم شيشاوة، هو ما أكده رشيد جرموني بقوله بأن غلبة البساطة على تدين الناس، لم تحل دون بروز توجهان لهذا السلزك الديني، التوجه الأول سماه ب الميل نحو الردكلة أو التعصب والتخندق، والتوجه الثاني هو ما يزال يؤثث الفضاء الدين العام، وهو بروز القيم الاستهلاكية الدينية.

المصدر: نتائج البحث الميداني لسنة 2021

الجدول رقم 91: توزيع الأسر القروية بإقليم شيشاوة حسب مستوى التدين بين أفرادها

	متشدد	معتدل	عادي	غير معروف
العدد	280	543	691	132
%	17	33	42	8

المصدر: نتائج البحث الميداني لسنة 2021

تتجلى مظاهر التدين في الأسرة القروية في التزام أفرادها بأداء الصلاة بانتظام، سواء في البيت أو في المساجد، لهذا فمعظم الاستشارات الدينية التي يقوم بها الإنسان القروي غالبا ما توجه لإمام المسجد، فهذا الأخير في نظر الساكنة القروية هي الجهة المخولة لها معرفيا وحضاريا وأخلاقيا لتقديم الأجوبة، باعتبارها الجهة الوحيدة التي تملك الحقيقة.

وجود علاقة وطيدة بين مكونات الواقع الاجتماعي والثقافي للأسرة القروية ونوعية السلوك الديني الذي ينهجه أفرادها، فإذا كان الطابع الشعبي والبسيط هو المهيمن على نمط أداء الواجبات الدينية، فإن هذا الوصف لا يمنع

من القول بتسرب بعض المظاهر الغريبة على الثقافة الدينية القروية، خصوصا استعمال اللباس الأفغاني من طرف فئة من الشباب، والتخلي عن الجلباب والسلهام، وتوجيه النقد المستمر للتدين الصوفي، والتعلق بالأضرحة، وترديد الأمداح النبوية، ورفض الاحتفال بالمناسبات الدينية كعيد المولد النبوي و المواسم الخاصة بالأولياء الصالحين، ةالتشكيك في الكرامات والبركات.

إن غلبة البساطة على السلوك الديني لدى القرويين بإقليم شيشاوة، هو ما يفضي إلى القول بأن الدين مجال بارز لرصد الإختلاف القائم بين المجالين الحضري والقروي، فكما يصف حليم بركات " فالدين الرسمي يسود في المدن، بينما يسود الدين الشعبي في الريف. وأن التصوف تجربة روحية خاصة ذات صلة وثيقة بردة الفعل لوجود ميل واضح إلى الإغراق في المجردات والماديات، ونتيجة حصول فجوات عميقة بين الطبقات الاجتماعية، يرافقها إحساس بالعجز والاغتراب"

4) الثقافة الدينية مجال للصراع بين الأجيال بإقليم شيشاوة: يشكل الدين بصورته الموروثة عن الأجداد المصدر الرئيسي لتشكيل الثقافة الدينية داخل الأسرة القروية، لهذا يتخذها الإنسان القروي مرجعا موثوقا به في تفسير مختلف الظواهر الطبيعية التي تقع أمامه، واتخاذ القرارات التي تهم حياته الاجتماعية، وتعليل جميع السلوكات التي تصدر عنه. فالدين هو الأساس الذي تبنى عليها الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية في المجتمع القروي؛ إن هذه الأهمية التي يحظى بها الدين في الحياة اليومية للأسر القروية، لا تغلي القول بأن التحولات المجتمعية التي شهدها المجتمع القروي، عملت على تغيير نمط التدين في المجتمع القروي، والذي انتقل من النمط الذي يعتمد كليا على ممارسة الشعائر الدينية الموروثة والمألوفة، إلى نمط ديني جديد، يقوده الشباب المثقف الذي حمل معه عند عودته من العمل أو الدراسة بالمدن أفكار دينية إصلاحية مستمدة من الكتب والمراجع الدينية القادمة من الشرق، و مغايرة لما هو مألوف ومعتاد لدى السكان القرويين، الشيء الذي ولد صداما وجدالا بين الشيوخ والشباب، خصوصا حينما يدعو هذا الشباب الأسر القروية إلى التخلي كليا عن التبرك والتعلق بالأضرحة والزوايا. ويمكن استعارة العبارة التي استعملها أميل دوركايم، لبيان أن ما يهم الشباب القروي بإقليم شيشاوة في مجال التدين، ليس هو الاقتصار فقط على اتخاذ الدين مجالا للتأمل والعبادة والسعي نحو نيل السعادة في العالم الآخر، وإنما جعله سندا فكريا ونقديا لتحليل الواقع الاجتماعي المعاش.

أثر هذا الصراع الديني الخفي بين الأجيال امتد ليغير العديد من القناعات التي بقيت صامدة لقرون من الزمان، فقد تراجعت قوة علاقة الارتباط التي تقيمها الأسرة القروية مع كل الرموز التي كان يضفي عليها طابع المقدس، كما هو الشأن بالنسبة للفترات الزمنية المقدسة كالأعياد الدينية أو رمضان أو يوم الجمعة، وكذلك الأماكن المقدسة كالقبور والزوايا، فضلا عن تراجع نسبة الاحترام الموجهة للأشخاص المقدسة كالأولياء والشيوخ والسادة والفقهاء. فإذا كان كبار السن ينظرون إلى هذه الرموز نظرة تقديس وهيبة وتعظيم، فإن جيل الشباب يميلون إلى السخرية منها، والدعوة إلى التخلص منها بداعي محاربة البدع والمنكرات.

إن مظاهر أزمة تحول الثقافة الدينية إلى مجال للصراع بين الأجيال بإقليم شيشاوة، يصدق عليها قول بيتر بيرجر Peter Berger "في تعددية القيم، أو تعدد المرجعيات، وتنازع الفاعلين حول المرجعية المولِّدة للمعنى، فالأفراد ليس لديهم إشباع على مستوى تناسقية القيم، وأن القيم العامة لا تجد طريقها للتطبيق بشكل موحد وملائم في جميع مناحي الحياة المجتمعية. ومن ثمَّ يمكن الحديث عن ضياع المرجعيات، وأنه لا توجد حقيقة موحدة للجميع" وسبب ازدياد الهوة الفاصلة بين جيل الشباب والشيوخ حول الفئة التي لها الحق الاجتماعي في الانفراد بالفهم الصحيح للدين.

الصراع بين الأجيال حول الثقافة الدينية بالوسط القروي بإقليم شيشاوة، سيتجاوز نطاق كيفية أداء الشعائر الدينية، ليشمل تبادل النقد والنقد المضاد حول طبيعة المرجعيات الدينية الصحيحة التي ينبغي الاستناد إليها في تفسير كل ما يقع في المجتمع من حوادث ونوازل، ونوعية الطريقة التي يفتض التعامل بها مع توجيهات السلطة الدينية المحلية، سواء المتجسدة في نظر الشيوخ في المسجد والفقيه والأسرة والزاوية، أو تلك التي يدافع عنها الشباب، والمتمثلة في حركات وجماعات الإسلام السياسي. هذا الصراع سيكون وراء تفشي ظاهرة العنف المادي والمعنوي بين عدد من المتدينين الشباب، والذي يتخذ أشكالا متنوعة كإتلاف الأشرطة الموسيقية، ورفض الاختلاط، وفرض الحجاب على المرأة، ومنع ترديد الهيللة أثناء تشييع الجنائز، ومقاطعة قراءة آية الكرسي جهرا دبر الصلوات الخمس.

5) ممارسة الشعائر الدينية بالوسط القروي إقليم شيشاوة بين الدين الشعبي والدين الفرداني الشخصاني : تختلف طبيعة أداء الممارسات الدينية بين جيل الشباب و جيل الكبار، فالتحولات الاجتماعية في المجتمع القروي أفرزت نمطين من التدين : تدين الشباب و تدين الشيوخ، فرغم كلا الجيلين يتقاسمان قناعة أساسية مفادها أن الدين حقيقة الهوية الاجتماعية، و جزء لا يتجزأ من الوجود الاجتماعي. فإن الكثير من الاعتقادات الدينية والممارسات التعبدية، تكشف عن وجود فرق كبير في التدين بين الجيلين، فجيل الكبار مثلا لازال يستند في تفسير بعض الظواهر الطبيعية والوقائع الاجتماعية اعتماد على ما يسمى بالدين الشعبي الذي يؤمن كليا بتأثير الجن والبركة والعين الشريرة، وبلجأ لتقديس الأولياء والأضرحة والزوايا لتفادي المصائب التي يمكن أن تسببها القوى الخفية والأرواح الشريرة.

كما نسجل في هذا الصدد الايمان القوي للكبار، خصوصا فئة النساء بأهمية وتأثير السحر على واقع مستقبل الحياة الفردية والجماعية للساكنة القروية، بينما تتبنى فئة الشباب مفهوما جديدا لسلوك التدين، ينسجم مع المستجدات الطارئة في الحياة الاجتماعية، فالتدين لديها يعني طريقة الحياة التي يعيش بها الأفراد والجماعات علاقاتهم بالله بعيدا عن الاستعانة بالوسائط الموروثة عن الأجداد، ويختارون عوضها التفاعل العلمي مع كل أشكال الفهم والاستيعاب والتطبيق والتمثل للنصوص والمعتقدات الدينية. فاختلاف الكيفية التي ينبغي بها ممارسة الشعائر الدينية بين الشباب والشيوخ بالوسط القروي إقليم شيشاوة، هو الذي مهد الطريق لاستيراد ما سماه الباحث هاني عواد بالتدين الشبابي من المجال الحضري ، والذي يعني "إن التدين الشبابي مختلف جذريًّا عن التدين الشعبي، وهو مختلف

أيضًا عن التدين الفردي كما عرفه التنوير الأوروبي، الذي يرى أن الدين بالأساس هو وعي أخلاقي Ethos يلزمه وجود حرية أو عدم قسر في اتخاذ الخيارات الدينية وينحصر في الحيز الخاص، فالتدين الشبابي نمط تدين منتشر في الحيز العام، ومنفلت من قبضة المؤسسات الاجتماعية"

من هنا، يمكن القول، أن التحولات الاجتماعية المعاصرة فرضت نوع من الاختلاف في ممارسة الشعائر الدينية بين الشباب والشيوخ بإقليم شيشاوة، فالإنسان القروي من جيل الشباب، يؤمن يكون أداء الطقوس الدينية، حماية معتقداته، لا يستوجب الخضوع للمؤسسات الدينية التقليدية كالمساجد والزوايا، ولا يستلزم منه الاستمرار في الانتماء لها، لأن التمسك بمثل هذا السلوك، من شأنه جعل الشباب القروي يتناقض كليا مع التدين الجديد القادم من المشرق. فهذا التحول في التدين، وصراج الأجيال حول طريقة أداء شعائره، كان السبب الأول في جعل المجتمع القروي بإقليم شيشاوة يعيش ثورة دينية، تقوم على الانحياز للتدين الفردي الشحصاني.

إن الاختلاف المسجل بين تدين الشباب والشيوخ بإقليم شيشاوة، ينسجم إلى حد كبير مع ما توصل إليه الباحث المغربي في علم الاجتماع المختار شفيق في دراسة ميدانية أنجزها بمنطقة سيدي رخال بإقليم قلعة السراغنة الثقافة الدينية، إذ توصل إلى كون المسافة الفاصلة بين الآباء والأبناء في التدين تزداد اتساعا يوما بعد يوم، ميزتها الأساسية الاختلاف المضاد، والنقاش الحاد حول الأهداف والغايات والطرق المعتمدة في أداء الشعائر، فالجيل الحالي يرفض تماما مسايرة الأجداد والآباء في رؤيتهم للتدين والعبادة. هذا الاختلاف بين الجيلين، هو ما يسمح بالقول بوجود ثانية في الدين القروي، الدين الشعبي الخاص بالشيوخ، والدين الخاص القادم من المشرق العربي، والخاص بفئة من الشباب القروي ..

6) تحول المسجد بإقليم شيشاوة من التعدد في الأدوار إلى الوظيفة التعبدية: تبين المعطيات الإحصائية المتوفرة لدى المندوبية الإقليمية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بإقليم شيشاوة، أن عدد المساجد بالوسط القروي يساوي عدد الدواوير تقريبا، أي ما يقارب 1011، فلكل دوار مسجد خاص به. وهو ما يشكل نسبة 94% من مجموع المساجد المتواجدة بالأقليم ككل، والبالغ عددها تقريبا 1071 مسجد. كما تشكل هذا المساجد نسبة 2.10% من مجموع المساجد على الصعيد الوطني، والتي يصل عددها إلى 51000 مسجد. هذه النسبة السمجلة بالوسط القروي تتجاوز المعدل الوطني المحدد في 72%. الشيء الذي يدل على تعلق الأسر القروية بالمسجد كبناية مقدسة وجوهرية في حياة الأفراد والجماعات.

رغم التحولات الاجتماعية التي شهدها المجتمع القروي في العقود الأخيرة، فإن مكانة مؤسسة المسجد ومركزيته لم تتزعزع كثيرا. حيث ظلت محافظة على حضورها في الحياة اليومية للأسرة القروية ، وعلى تأثير رموزها في اتخاذ القرارات الحاسمة التي تخص الأفراد والجماعات، تحظى بالوقار و الاحترام والتقديس، وهذه المركزية لا يمكن الحديث عنها فقط كمجال للعبادة والصلاة، بل يتسع نطاقها ليشمل قضايا أخرى من قبيل مناقشة المواضيع الاجتماعية، وعقد اتفاقيات الصلح، والاحتفال بالمناسبات الدينية والشعبية، فمؤسسة المسجد بالوسط القروي

بإقليم شيشاوة، كانت في الماضي ذات وظائف متعددة، فهي مكان لالتماس الهداية الدائمة، ومصدر للحصول على النصح الديني، والتوجيه الفكري، ومركز لممارسة التكوين التربوي والتعليمي، ومنبع الإشباع الروحي والمعنوي، وملتقى اكتساب السلوك الأخلاقي، والتهذيب الاجتماعي. أما اليوم، وبفعل الظروف التي تحيط بالحياة الاجتماعية بالسوط القروي بإقليم شيشاوة، نتيجة للتحولات الاجتماعية والثقافية المعاصرة، فقد بدأ دور المسجد يتقلص تدريجا ليقتصر فقط على الجانب التعبدي، بفعل ظهور مؤسسات اجتماعية أخرى تضطلع بباقي الوظائف كالمدرسة ودور الشباب والجمعيات.

إن استمرار محافظة بعض المناطق القروية بإقليم شيشاوة على التعدد في الوظائف الموكولة للمسجد، هو ما يجعل هذا الأخير امتدادا طبيعيا للزوايا والأضرحة في المناطق التي تغيب فيها هذه الزوايا. فالمسجد مؤسسة دينية واجتماعية وسياسية وثقافية ورمزية. هذا التعدد في الوظائف والأبعاد، يجعل المسجد أهم بناية عمرانية في التجمعات السكانية بالعالم القروي بإقليم شيشاوة. ومن الأمور التي بقيت صامدة في بنية العلاقة القائمة بين المسجد والساكنة القروية رغم التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يشهدها المجال القروي، يمكن استحضار الحرص على نظافة وتزيين المساجد، والالتزام بأداء الواجب الشهري " الشرط"، والمبادرة في تنفيذ أشغال الاصلاح والترميم والبناء بشكل تطوعي ومجاني. ورغم هذا الصمود فقد اختفت عادة تعتبر إلى عهد قريب من العادات المقدسة التي لا يمكن الإخلال بها تحت أي مبرر كيفما كان، يتعلق الأمر بما يسمى «بالنوبة"، أي وجبات التغذية التي تعدها الأسر بشكل تناوبي لإمام المسجد.

7) تخلي الأسر القروية عن المفهوم الشمولي لمؤسسة الفقيه بإقليم شيشاوة : ساهمت التحولات الاجتماعية بالعالم القروي في اندثار الكثير من العادات التي تشكل الرابط الذي يجمع الأسرة القروية بمؤسسة الفقيه بإقليم شيشاوة، والتي تعتبر مؤشرا على مدى التعلق بالشعائر الدينية، ورمزا لتجسيد التماسك الاجتماعي والروحي للقرويين، فكما يرى عبد الهادي أعراب، "فإن فهم منطق التحول الاجتماعي لمؤسسة "فقيه الشرط" جزء من فهم التحول الاجتماعي لمجموعة من المؤسسات الثقافية القروية، فمؤسسة الفقيه التي استطاعت أن تلعب أدوارا كبرى داخل تاريخ المغرب، إن على المستوى التعليمي أو الاجتماعي أو الديني، كما استطاعت في الآن نفسه أن تملأ الفراغ الذي تركته الدولة في مجمل هذه الميادين الحيوية بالوسط القروي"، لم تعد تحظى بنفس الثقل الاجتماعي والثقافي والروحي لدى الغالبية من الأسر القروية. ففي الماضي، كان الاعتقاد الراسخ في البنية الذهنية والوجدانية للقرويين بإقليم شيشاوة، يكمن في الإيمان باستحالة أداء الشعائر الدينية دون وصاية رمزية ومتابعة مباشرة من مؤسسة الفقيه، فلا يقبلون التوجيهات الموجهة لهم لتصحيح الأخطاء التي يقعون فيها في صلواتهم ومعاملاتهم وسلوكاتهم إلا إذا صدرت عن الفقيه، لاعتقادهم بإنه المخول وحده فكريا وعلميا ودينيا لنصح وتوجيه عوام الناس.

وبلغ الأمر بالقرويين في شأن الرفع من مكانة الفقيه وقدسيته في المجتمع القروي، درجة قدرة هذا الأخير على الجمع بين الأدوار الاجتماعية والغيبية والدينية والروحية والسياسية، أي ما يسمى بالمفهوم الشمولي لمؤسسة

الفقيه، فيكفي هنا الإشارة إلى استمرار تعلق الأسر القروية بالمناطق الجبلية ب المزج بين الاعتقاد في تمائم الفقيه لعلاج الأمراض، ودفع المصائب، وأداء الصلوات الخمس وراءه، وتكليفه بغسل أمواتهم، وتدبير شؤونهم، وحل نزاعاتهم، والبث في قضاياهم الاقتصادية والاجتماعية،

إن تخلي الأسر القروية بإقليم شيشاوة عن المفهوم الشمولي لمؤسسة الفيقه، ليس وليد الصدفة، بل نتيجة حتمية لسيرورة من التحولات الاجتماعية المعاصرة التي شهدها المجتمع القروي منذ عقود، والتي أفرزت واقعا دينيا جديدا يختلف كليا عن سابقه في المفهوم والغاية والوسيلة، فهذا الواقع الجديد، يمكن وصفه بسماه F. Colonna بالتديّن المعتدل المنفتح على مقومات الحياة الاجتماعية والثقافية التي تنهل من روح مستجدات العصر، وتستنير بالمعطيات المحلية والمعتقدات الموروثة، والممارسات الدينية والطقوس المجتمعية التي اشتهر بها الأسلاف .

ومن مظاهر تواري المفهوم الشمولي لمؤسسة الفقيه بالوسط القروي بإقليم شيشاوة، اختفاء ما يسمى في اللغة العامية ب "الاربعائية" والتي تعني قيام الاطفال الذين يدرسون بالمسيد بتقديم هدية ملومة للفقيه كل يوم أربعاء كعربون عن التقدير الذي يحظى به هذا الفقيه في الأوساط القروية. وغالبا ما تكون هذه الهدية عبارة عن مبلغ مالي أو مساهمة عينية كالبيض، والتي تختلف حسب المستوى الاقتصادي للأسرة القروية. نفس الأمر ينطبق على الطقوس الدينية والاجتماعية التي ترافق مراسم استقبال الأعياد الدينية، والاحتفال بها، والتي لا يمكن لها أن تحظى بالشرعية الدينية في غياب مشاركة الفقيه. فبين الماضي والحاضر، تغيرت الكثير من المعتقدات الدينية والشعبية التي كانت تشكل علامة بارزة في العلاقة التي تجمع الأسرة القروية بمؤسسة الفيقه، واندثرت العديد من العادات والتقاليد التي تعتبر إلى عهد قريب العمود الفقري للثقافة الدينية والهوية الشعبية للساكنة القروية بإقليم شيشاوة، كما هو الحال بالنسبة لترديد الأهازيج من طرف الرجال في تجمعاتهم اليومية وسمرهم الليلي بزاعة الفيقه، وإطلاق النساء العنان للزغاريد من فوق السطوح احتراما وإكبارا لدور الفيقه في حماية زواجهن، كما تشكل المساجد ملتقى كبار السن في الدوار بعد أداء صلاة العشاء من أداء الابتهالات الدينية والأمداح النبوية بمعية الفقيه، و التوسل بالأدعية والأذكار و القصائد الدينية المستمدة ن الموروث الثقافي و الشعبي للمجتمع القروي.

ومن أبرز مظاهر التحول التي طرأت على "الفقهاء وأئمة المساجد" بالوسط القروي بإقليم شيشاوة، أو ما سماهم جاك بيرك بحملة القرآن الغرباء المنتشرين في الدواوير والمداشر القروية، تقزيم مكانتهم الدينية في الدور التعبدي، واختزال مسؤولياتهم الاجتماعية في الإقامة في المساجد، والتعامل معهم كمجرد "قيمين دينيين"، وأشخاص عاديين، وليس كمؤسسات دينية واجتماعية وثقافية ، متعددة الوظائف والمهام، ومركبة من القيم والمعايير. فمظاهر التحول التي خلصنا إليها من خلال بحثنا الميداني حول علاقة الأسر القروية بمؤسسة الفقيه بإقليم شيشاوة، تطابق إلى حد كبيرا تلك التي أشار إليها الباحث عبد الرحمان فضلي في دراسته حول التحول الذي لحق معالم الإصلاح الديني اليوم في القرى المغربية، حينما قال بأن " الفقيه لم بعد يمثل نموذج الرجل البسيط المتمثل بشخص "الفقيه المشارط"،

لم يعرف الدولة إلا من حيث هي محطً دعاء يومي في المسجد والمناسبات الخاصة، ولم تعرفه هي أيضا حتى ذلك الحين، براتب أو بمستحقات اعتبارية، فهو مكفول لدى أهل "اجماعة" الذين يخصصون له مبلغا رمزيا، ومحصولا زراعيا كل سنة ، مع ما تقتضيه بعض متطلبات الأعياد" .

8) علاقة الأسرة القروية بالمواسم الدينية بإقليم شيشاوة: من الوظيفة الدينية إلى الرواج الاقتصادي

يصل عدد المواسم والمعارض ذات الطابع الثقافي والديني والسياحي المنظمة على مستوى إقليم شيشاوة إلى 38 موسماً، والتي تستقطب عددًا كبيرًا من السائحين المحليين والأجانب، خصوصا خلال فصل الصيف، كما يزخر الإقليم بمجموعة من المواسم الدينية ذات الصيت المحلي والجهوي، كموسم بوعنفيرن بالسعيدات، وموسم سيدي احمد وعلي بمزوضة، موسم تماروت بدمسيرة، موسم تاولوكولت بامتوكة، موسم سيدي علي اوسحاق بامنتانوت. وسنكتفي بموسم سيدي علي اسحاق بامنتانوت كنموذج لتبيان العلاقة الوطيدة التي تقيمها الأسر القروية مع المواسم الدينية المحلية.

يعتبر موسم سيدي علي اسحاق بامنتانوت واحدا من أهم التظاهرات الدينية والثقافية على الصعيد الإقليمي بشياوة، يتم الاحتفال بها منذ ما يقارب خمسة قرون. ويتميز الموروث الثقافي المحلي بالاحتفال بموسم سيدي علي أوسحاق بين العاشر والخامس عشر أكتوبر من كل سنة، وهو ذو إشعاع محلي، إقليمي وجهوي. وتبين المعطيات الاحصائية لبحث أجري سنة 1952، في حوالي 65 دوار في دائرة إمنتانوت بالقبائل الخمسة (انفيفة – متوكة – دمسيرة – سكساوة – إدويران)، بما يشكل 10% من مجموعة سكالن هذه القبائل، أن حجم المبادلات التجارية التي تتم في هذه المواسم على الشكل التالي:

الجدول رقم 92 توزيع حجم المبادلات التجارية التي تتم في موسم سيدي علي أوسحاق بمنتانوت

الماشية	المبيعات	المشتريات	الفرق بين	
			الصادرات	الواردات
الخيول	60	90	-	30
البغال	130	310	-	180
الحمير	280	480	-	200
البقر	580	150	430	-
العجول	210	180	30	-
الغنم	4350	870	3480	-
المعز	3715	1350	2365	-

المصدر:- Lèon Robine[1]

وهذا يبين أن هذه المواسم مناسبة لاستيراد الأسر القروية، لحاجياتها من الدواب من الخيول والبغال والحمير، في الوقت التي تصدر فيه الحيوانات الداجنة (القر – العجول- الغنم- المعز). وتشكل هذه المبادلات 15% من المبادلات التجارية الحيوانية السنوية في كل الأسواق، أما بالنسبة لتجارة حيوانات الجر والنقل الكبيرة (الخيول- البغال) فمعظمها لا يتم إلا في المواسم خلال تلك الفترة. أما بالنسبة لتجارة الملابس فإن هذه المواسم هي الفرصة السنوية التي يقتني فيها سكان المنطقة معظم حاجياتهم من الملابس السنوية . وهذا ما تبينه نتائج البحث المشار إليه أعلاه، من حيث حجم مشتريات سكان المنطقة من الملابس في المواسم:

الجدول رقم 93: توزيع حجم المشتريات من الملابس التي تتم في موسم سيدي علي أوسحاق بمنتانوت

نوع اللباس	العدد	ثمن الوحدة	القيمة الاجمالية (بالفرنك)
تشامير (رجال)	680	500	408.000
السروال	150	400	60.000
الفراجية	320	1100	352.000
الرزا(العمامة)	750	300	225.000
أقراب(الشكارة)	420	800	336.000
إيدوكان (البلغة)	550	750	412.000
النعال	930	200	186.000
جلابة الثوب	310	2000	620.000
الطاقية (التاكية)	175	200	35.000
جلابة الصوف	70	3000	210.000
تشامير (النساء)	310	600	486.000
التوبيت	1300	700	1.064.000
الزيفة (الخمار)	1660	450	1.211.000
الإزار	900	250410	680.000
إيدوكان (البلغة للنساء)	410	610	307.000
المحلمة	610	90	213.000
الكسوة (الفستان)	90	110	108.000
التفينة	110	280	210.000
القضيب	280	130	140.000

الشريبل	130	360	195.000
الصمطة	360	740	126.000
الشوميج	740	440	237.000
التوبيت (النساء)	440	440	132.000
جلابة الثوب	70	70	35.000
الشاكوش	160	160	48.000

المصدر[2]:Lèon Robine

وتشكل المشتريات من الملابس في المواسم ما يعادل ثلث مدخول المبيعات المختلفة التي يقوم بها سكان الوسط القروي بإقليم شيشاوة، بما يصل إلى حوالي 500 فرنك لكل أسرة. كما تتوزع المظاهر الاحتفالية للموسم بين الأنشطة الدينية بضريح الولي الصالح والمسجد التابع له، والأنشطة الفكرية والثقافية والترفيهية بمختلف فضاءات الموسم. ويتميز باستمرار أنشطته، فإذا كان النهار يخصص لألعاب الفروسية، فإن الليل يشهد حفلات فنية شعبية وتراث الحلقة.

9) تؤمن الأسر القروية بالزعامة الدينية والجاه الاجتماعي بإقليم شيشاوة: لم تمكن التحولات الاجتماعية المعاصرة التي شهدها الوسط القروي بإقليم شيشاوة في الخمسين سنة الأخيرة من إحداث قطيعة مع مقومات الزعامة الدينية والاجتماعية المتأصلة في المجتمع القروي منذ قرون، فهذه التراتبية الاجتماعية السائدة في الحياة الاجتماعية بإقليم شيشاوة، تتمحور، كما جاء على لسان الباحث محمد حبيدة، "حول ثلاثية الملزمة المقدس ،السلطة والعمل، مرتبة خاصة الخاصة، والمرتبة الخاصة ، والمرتبة العامة".

الجدول رقم 94: أهم الشخصيات الدينية المؤثرة على الأسر القروية بإقليم شيشاوة

القبيلة أو الزاوية أو الجماعة	الشخصية الدينة المؤثرة فيها
زاوية النواصر	الشيخ سعيد بناصر– الشيخ علي بن الناصر
زاوية بالأحوال	الشيخ أحمد بن الأحوال
بلدية شيشاوة	الشيح أحمد بلمقدم
بليدة سيدي المختار	سيدي المختار العبيدي السباعي
حماعة أيت هاي	أهل المصلى
قبيلة أولا بكار	الشيخ محمد الضو البكاري
قبيلة أولاد عيسى	الشيح سيدي العربي بلمقدم–الشيخ سيدي احماد بن عمارة–الولية الصالحة زهرة العيساوية
قبيلة امتوكة	الشيخ ابو ابراهيم اسماعيل الركراكي –الشين الحسن بن داود المناني الحاحي

قبيلة مزوضة / الزاوي النحلية	الشيد سيدي محمد بن احماد –الشيخ سعيد بن ابي بك –الشيخ أبو عثمان سعيد الأمغاري
زاوية أكني	الشيخ عبد الرحمان بن مسعود السباعي
الزاوية العمرية	الشيخ محمد بن عمرو اللمطي
زاوية كوزمت	الشيخ حسن بن داوود المناني
زاوية أفنسا	الشيخ أبو اسماعيل ابراهيم الأمغاري

3

المصدر: الحبيب الرسموكي

يتضح أن الشخصيات الدينية والاجتماعية لا زالت تحظى بالاحترام والتقدير، الأولى ترتبط ارتباط وثيقا بما سماه الباحث السوسيولوجي المغربي عبد الغني منديب، بالوزن الديني المستمد من الاعتقاد في قدرة ذرية الأولياء والشرفاء في الوقاية من مخاطر الجن والأشباح، ودفع البلاء، وجلب البركة، والحماية من العين الشريرة والسحر. لهذا فمن الطبيعي استمرار وجود تقديس الرموز الدينية في المجتمع القروي بإقليم شيشاوة، وعدم القبول بالفصل بين الدين والمكانة الاجتماعية لرجال الدين. أما الثانية، أي الشخصيات التي تحظى بوزن اجتماعي بالوسط القروي بإقليم شيشاوة، فتستمد هذه الحظوة من الانتماء الاجتماعي لأسرة عريقة، وامتلاك أراضي شاسعة، وكثرة الأفراد المنحدرين من هذه الأسرة، انخراطهم المبكر في العمل السياسي، وتسخيرهم لفوائد اقتصاد الريع، وربطهم لعلاقات متشعبة مع السطات والشيوخ.

ومن بين النماذج المشهورة بالمنطقة، والتي لازالت تلقي بظلالها على الأسر القروية، وحافظ على إيمانها بالزعامة الدينية والجاه الاجتماعي للشخصيات الدينية بإقليم شيشاوة، يمكن أن نستحضر النموذج الذي تحدث عته الباحث في شؤون المنطقة مولاي عبد الحكيم الزاوي بقوله" ذلك سيسهم في ظهور تجمعات بشرية جديدة وقوى قبلية صاعدة...قبيلة ادويران في السفح بين نفيفة ومزوضة على واد سكساوة، قبيلة متوكة بين نفيفة وحاحا، واكتساح أولاد بن السبع للسهل الشيشاوي. خلال هذه اللحظة وصلت شخصية ستساهم في نشر العلم والتصوف يتعلق الأمر أحمد بن علي أبي النحل (بوتيزوا) المتوفى سنة 1155هـ/ 1742م. فقد اقترن مجال شيشاوة من حيث الإشعاع الروحي والديني بهذه الزاوية في مزوضة أو صودة كما كانت تكتب في المصادر الوسيطية عند البيدق وابن الزيات. والحال، تعتبر هذه الزاوية الأصل لبقية الزوايا والمدارس العتيقة المنتشرة في القبائل والمجاورة لمزوضة (كدميوة– سكساوة– أولاد أبي السباع) وحتى البعيدة عنها (حاحا– السراغنة– الرحامنة– الشياضمة– مسفيوة– إدامحمود...)".

10) المدارس العتيقة جزء من الثقافة الدينية للأسرة القروية بإقليم شيشاوة: بين المفكر المغربي عبد الله العري أن التعليم القرآني والدين في المدارس العتيقة بالوسط القروي ظل محميا لمدة طويلة عن تأثير العامل السياسي، بعيدا

عن المشاركة المباشرة في تأجيج الحراك الاجتماعي الذي يعرفه الوسط القروي بالمقارنة مع عوامل أخرى، كالتقرب من دوائر المخزن أو الجاه العائلي. ففي إقليم شيشاوة، توجد 18 مدرسة قرآنية للتعليم العتيق. يوضح الجدول أدناه عدد المستفيدين من هذه المدارس ومواقعها:

الجدول رقم 95: أهم المدارس العتيقة بإقليم شيشاوة

المدرسة	سدي	دار	النحلية	تالمست	بوعنفيرن	السعيدات	سيدي	الحسنية	الهيلالية	عمر بن	كوزمت	سيد حمد	الفجر	النور	الفقية	الامام	امين العين	الحسن
موقعها	أسيف	أسيف	الزاوية	واد	ايت	السعيدا	سيدي	لمزوضية	الزاوية	سدي	كوزمت	سيدي	سدي	سدي	مجاط	مزوضة	واد	شيشاوة
المستفيد	6	9	0	5	0	2	2	2	0	0	0	7	6	8	7	8	0	0

المصدر، المندوبية الإقليمية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بشيشاوة

خاتمة:

على هدي أسئلة منهجية، ينهض العمل في هذه الدراسة على فهم تحول الثقافة الدينية والقيم التعبدية كمؤشرات أساسية تصنف على مدى قوة الواقع الجديد الذي خلقته التحولات الاجتماعية المعاصرة للأسرة القروية بإقليم شيشاوة، واقع جديد قائم على استمرارية الانتماء المزدوج لثقافتين دينيتين مختلفين، تقوم العلاقة بينهما على التعايش في بعض الأحيان، و الصراع في أغلب الأوقات، فالأسر القروية مفروض عليها اليوم أن تعيش تحت تأثير الثقافة الدينية التقليدية الموروثة، وفي نفس الوقت، الاستجابة لمتطلبات تأثير الثقافة الدينية العصرية، هذا الاستمرارية هي التي تجعل الاسرة القروية بإقليم شيشاوة، تنخرط في سيرورة التحولات الاجتماعية المعاصرة ، لكن دون قطائع ما بين الجديد والقديم عبر اللحظات الثلاث: الماضي، الحاضر، المستقبل، وتوصلنا إلى بعض المقترحات كحلول واقعية ، من شأنها القضاء على هذه الظاهرة أو على الأقل التخفيف من حدتها.

وفي الختام، لابد من الإشارة إلى ملاحظة هامة في هذا الجانب، تتعلق بضرورة مواجهة المشاكل التي يعانيها المجتمعات النامية بجرأة وشجاعة، والعمل على تكثيف الجهود لبلورة حلول ناجعة وواقعية لها، لأن تجاهلها يجعلها تزداد تعقيدا، ولابد كذلك، أن نضع نصب أعيننا، أن تحقيق الأهداف التي نصبو إليها، ليس بالأمر العسير، فقط يمكن ذلك، إن خلصت النيات وتظافرت الجهود بصدق وإخلاص. كما أن المطلوب، هو عدم الاكتفاء بالمقاربة العلمية لمعالجة الظاهرة، بل ينبغي تنويع طرق التدخل، وذلك بتوظيف مقاربة شاملة ومتكاملة تعتمد على مواجهة الأسباب التي تؤدي إلى هذه المعادلة.

الهوامش:

2 – غيث عاطف، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،1995، ص 83.

2 – المختار الهراس وادريس بنسعيد التحولات الاجتماعية والثقافية في البوادي المغربية. الرباط: منشورات كلية الأداب والعلوم الانسانية، 2022، ص18.

2 – أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، دولة الكويت: وكالة المطبوعات، الطبعة الخامسة، 1979، ص 19.

2 – رشيد جرموني، في دِينامية التحولات الدينية: ظاهرة التديُّن الفردي نموذجًا، منشورات مركز نهوض للدراسات والبحوث، سبتمبر 2021، ص 5.

2 – الحبيب الرسموكي، إزاحة الغشاوة عن تاريخ الحركة العلمية بإقليم شيشاوة من خلال الزوايا الصوفية والمدارس العلمية، الطبعة الأولى،2001، ص189.

2 – رشيد جرموني، مرجع سابق، ص 5.

2 – حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث في تغير الأحوال والعلاقات، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2009م، ص279

2 - Emile, Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris, Puf, 6 Édition, 2008

2 -Peter Berger, Thomas Luckmann, «la construction sociale de la réalité», Armand Colin(France), 2006, p, 36.

2 – هاني عواد، التدين الشبابي: نمط منفلت عن المؤسسة الأيديولوجية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، أكتوبر 2011، ص21.

2 – "إن مفهوم التدين الفردي جاء نتيجة طبيعية للتحولات الكبرى التي عرفها الحقل الديني، وهو يعني أن الفرد/المسلم يصبح مرجعًا لنفسه في الاستمداد والتلقي والممارسة والتوجيه والسلوك والتمثل "رشيد جرموني، مرجع سابق، ص15.

2 - Bryan S.Turner,"Religion and Modern Society: Citizenship, Secularization and the State", Cambridge University Press, New York, 2011, on the web:www.cambridge.org/9780521675321,date consultation: 30/03/2012., p,11

2 – المختار شفيق. "دينامية الثقافة الدينية عند الشباب القروي المتمدرس. زاوية سيدي رحال نموذجا". مشاركة في ندوة التحولات الكبرى في المجتمع القروي المنظمة من قبل كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة الحسن الثاني.. بتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور. المحمدية. 30/29 يونيو. 2000.

2 - E. Dermenghem Le culte des saints dans liislam maghrébin. Gallimard Collection Tel Paris 1964

2 –أوبلا إبراهيم «آلية المدرسة العتيقة بين الواقعية والاستقلالية»: مؤلف جماعي، المدارس العلمية العتيقة آفاق إصلاحها واندماجها في محيطها المعاصر، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى، 1996، ص 59.

2 – عبد الهادي أعراب، مرجع سابق ص2.

2 - F. Colonna: «La Répétition. Les Tolba dans Commune Rurale de l'Aures» in: L'annuairede l'Afrique du Nord, éd. CNRS, 1979, p. 202

2 - J. BERQUE, STRUCTURES SOCIALES DU HAUT-ATLAS, RETOUR AUX SEKSAWA, PUF, PARIS,2 ÈME ED1978, P.254

2– عبد الرحمان فضلي، الإصلاح الديني اليوم في القرى المغربية المخزن وفقهاء الشرط في تيزنيت، مجلة عمران، الغدد 24، ربيع 2018، ص26

2 – محمد أقديم، مرجع سابق، ص411.

2 - Lèon Robine-Revenus et niveau de vie du Grand-Atlas occidental: Cercle d'Imintanout 1956-p :72.

2 :- Lèon Robine-Revenus et niveau de vie du Grand-Atlas occidental: Cercle d'Imintanout 1956-p :73

2 – محمد أقديم، مرجع سابق، ص 412.

2 – تحيل خاصة الخاصة الى وضع الحظوة، الى رجال الاكثر احتراما ووقارا في المجتمع وهم الشرفاء والفقهاء والصلحاء والذين يسهرون على المقدس ويؤمنونه، ويخلدونه وتشير كلمة خاصة الى السلطة السياسية والمادية ويتعلق الامر بالاعيان من القواد وكبار ملاك والتجار الذين تنعتهم المصادر بالاشباع واولاد الدار الكبيرة اما العامة فهم سائر الناس الذين يعملون لكي يعيشوا لقد كانت هذه المراتب او المنازل والاصناف كما تقول النصوص التاريخية تعيش عادة جنب الى جنب، وترتبط فيما بينها بخدمات متبادلة. للمزيد من المعلومات، انظر محمد حبيدة/ مرجع سابق، ص 115.

2 – الحبيب الرسموكي، مرجع سابق، ص 251.

2 – عبد الغني منديب، الدين والمجتمع، دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب دار النشر إفريقيا الشرق، المغرب، سنة 2006، ص19.

2 – مولاي عبد الحكيم الزاوي، مرجع سابق.

2 -Abdallah Laroui, Les Origines Sociales et Culturelles du Nationalisme Marocain (1830 – 1912), éd. Maspero, Paris, 1977, p. 227 – 228.